حلاوة الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين...أما بعد: فمن أَجَلِّ نعم الله ﷻ على عبده، أن يوفقه للاستقامة على دينه، والتلذذ بعبادته وطاعته، فمن نال ذلك فقد نال كل خير، وفاز بسعادة الدارين، وكان من حزب الله المفلحين، ومن أوليائه الصالحين، وإِنَّ لِلإِيمانِ حَلاوةً يَشْعُرُ بِها المؤمنُ الصادِقُ في قَلْبِهِ، وَلَذَّةً لا تَعْدِلُها لَذَّةٌ، تَفُوقُ كُلَّ لَذَّةٍ، هِيَ سَبَبُ سَعادَتِهِ، وانْشِراحِ صَدْرِهِ، واسْتِنارَةِ قَلْبِهِ، ورِضاه، وذَهابِ هُمُومِهِ وغُمُومِهِ، وفَلاحِهِ، ونَجاتِه في الدنيا والآخِرَةِ. وهذه الحَلاوَةُ لا تُذاقُ بِالأَمانِي والدَّعاوَى، لِأَنَّها سَهْلَةٌ بِالدَّعْوَى وَاللِّسَانِ، وَلَكِنَّها مِنْ أَصْعَبِ الأُمُورِ عِنْدَ الحَقِيقَةِ وَالامْتِحَانِ، فَلا يَذُوقُها إِلَّا مَنْ قامَتْ بِهِ شرائِطُ الإِيمانِ، والتي أَهَمُّها وأَساسُها: ما وَرَدَ في قَوْلِ النبيِّ ﷺ: «ذاقَ طَعْمَ الإِيمانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وبِالإِسْلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا».[1] لِأَنَّ الرِّضا هُوَ بابُ الإِيمانِ الأَعْظَمِ.[2]

---

١ الراوي: [العباس بن عبدالمطلب] | المحدث: ابن تيمية | المصدر: مجموع الفتاوى | الصفحة أو الرقم: ٣٢٧/١٠.

٢ ص٣٨٩ – كتاب مجلة جامعة أم القرى – الرضا بالقضاء – ابن تيمية رحمه الله.

عناصر الموضوع:

١ شقـــاء العبـــد سببـــه ضعـــف الإيمـــان.

٢ للإيمان حلاوة نفسية قلبية.

٣ الذوق علـــى نوعيـــن.

٤ يتحقق ذوق حـــلاة الإيمـــان بثلاثـــة شـــروط.

٥ الأصـــول الثلاثـــة.

٦ السعـادة والحلاوة لا تحققهـــا شهـــوات الدنيـــا.

٧ حـــلاوة الإيمـــان.

٨ تختلـف حلاوة الإيمـتان مـن شخـتص إلـى آخـر.

٩ كيف أجد حلاوة الإيمـان؟

١٠ آثـــار حـــلاوة الإيمـــان.

١١ ومن الوسائل العظيمة الجالبة حلاوة الإيمان الدعاء.

١٢ حال من وجد حلاوة الإيمان.

شقاء العبد سببه ضعف الإيمان

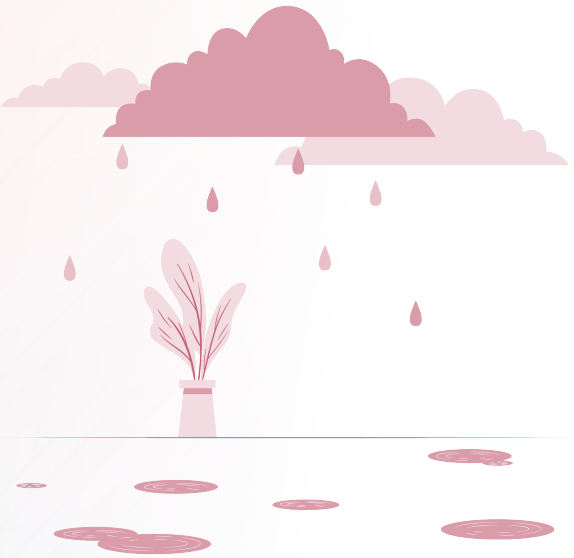

الشقاء الذي يعاني منه أغلب الناس سببه ضعف الإيمان، هذه الحياة المليئة بالتعب والشقاء، وفي هذه الدنيا الفانية التي بها النكد والضيق والبلاء، يقف الإنسان حائرًا: أين النجاة؟! وأين الطريق؟! وكيف يكون الخلاص من هذا البلاء الذي يعصف بالأمان والاطمئنان؟! في دنيا أصبح الحال فيها الضجر والأرق والاضطرابات النفسية والعصبية، وأصبح حال الناس الشكوى من هذه الحال، التي صار إليه الناس. والباحث في أسباب هذه الحال يجد أن الإجابة تكمن في أننا ضيعنا طريق الإيمان، طريق الأمان، ولو عدنا إليه لاستقامت لنا الحياة، ولكنا في خير وأمان وإيمان.

إن من يتمعن في أمور الحياةِ وشؤون الناس فيها يرى أناسًا تعيش ألوانًا من التعبِ والشقاء، صدورُها مليئة بأنواعٍ مِن الضّجَر، وألسنتها تحكي الشّكوى، وتظهر عدم الاطمِئنان، وفقدَ الراحة والسعادة، غير راضية بحياتها، وترى آخرين قد تنعموا بهنيءِ العيش وأنواع الخَير، نفوسهم كريمة، وقلوبهم سليمة، ووجوههم طليقة. أتعلمون ما الذي فرّق بين هذين الفريقين؟ إنّه الإيمان.

للإيمان حلاوة نفسية قلبية

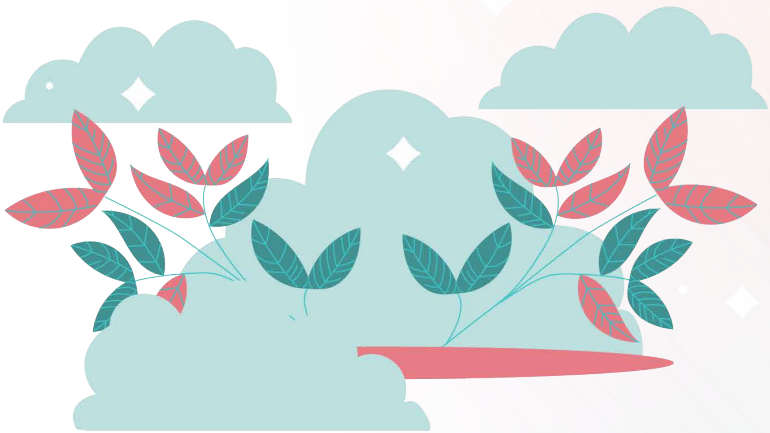

لِلإيمانِ حَلاوةٌ يَشْعُرُ بِها المؤمنُ الصادِقُ في قَلْبِهِ، وَلَذَّةٌ لا تَعْدِلُها لَذَّةٌ، تَفُوقُ كُلَّ لَذَّةٍ، هِيَ سَبَبُ سَعادَتِهِ، وانْشِراحِ صَدْرِهِ، واسْتِنارَةِ قَلْبِهِ، ورِضاه، وذَهابِ هُمُومِهِ وغُمُومِهِ، وفَلاحِهِ، ونَجاتِهِ في الدنيا والآخِرَةِ. إن للإيمان ذوقًا وحلاوةً ولذةً، وهو أعلى الذوق وأطيبه، هي نِعْمةٌ لا تُذاقُ إلا بالجنانِ، ولا يَستطيعُ أنْ يُعبِّرَ عنها اللسانُ، نعمةٌ لا يُدرِكُها ولا يَعرفُ قيمتَها إلا مَنْ ذَاقَها وأَحَسَّ بها وعاشَ معها، ولذةٌ لا يَستشعرُ أثَرها إلا مَنْ تَذوَّقَ طعمَها، وَوَجدَ طِيبَ العيشِ في ظِلِّها؛ وهذه الحَلاوَةُ لا تُذاقُ بِالأَمانِي والدَّعاوَى، لِأَنَّها سَهْلَةٌ بِالدَّعْوَى وَاللِّسَانِ، وَلَكِنَّها مِنْ أَصْعَبِ الأُمُورِ عِنْدَ الحَقِيقَةِ وَالاِمْتِحَانِ، فَلا يَذُوقُها إِلَّا مَنْ قامَتْ بِهِ شرائِطُ الإيمانِ، والتي أَهَمُّها وأَساسُها: ما وَرَدَ في قَوْلِ النبيِّ ﷺ وهو يرسم لنا هذا الطريق الموصل إلى الإيمان والأمان في الدنيا، وإلى النعيم المقيم في الآخرة؛ حيث قال ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا».[1]

١ [أخرجه مسلم والترمذي].الراوي: [العباس بن عبدالمطلب] | المحدث: ابن تيمية | المصدر: مجموع الفتاوى الصفحة أو الرقم: ٣٢٧/١٠.

وعند إدراك حقيقة الإيمان، وحصوله في القلب ومباشرته له: بالذوق تارة، وبوجود الحلاوة تارة، وبالطعم تارة، نقول: إن الذوق منزلة إيمانية رفيعة، وهي تجربة فردية بالأساس تتحقق بمعرفة الله ﷻ؛ فمن عرف ما قصد هان عليه ما وجد، ومن رزقه الله هذه المنزلة فقد عرف الخير كله؛ لذلك فالتدين هو ممارسة ذوقية في العبادات كلها.

الذوق على نوعين

الأول: ذوق طعم الإيمان بوعد الله، وهو يقين يدفع إلى الجد في العبادة والطاعة، ويدل عليه قوله ﷻ: ﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾[الحجرات: ١٤]؛ فقد نفى الله الإيمان عمن لم يذق طعم الإيمان؛ لأن المخاطبين مسلمون، وليسوا بمؤمنين الإيمان الكامل الذي يباشر القلب.

والثاني: ذوق الإنسان بالله ﷻ، والفرق بين هذا النوع والذي قبله أن متعلق الأول وعد الله، وأما الثاني فمتعلقه الأنس بالله؛ فهو أشرف من الأول، فلا يشغله عن ربه- ذكرًا له وعبادة له- أي شيء كائن من كان، والعباد يتفاوتون في قوة الأنس بربهم بحسب قربهم منه وبعدهم عنه، ومن كان منهم أقرب كانت خشيته أشد.

وقال ﷺ من حديث أنس رضي الله عنه: «ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار».[1]

إن للإيمان طَعمًا يفوق كلَّ الطعوم، وله مذاقٌ يعلو على كلّ مذاق؛ لأن حلاوة الإيمان حلاوة روحية نفسية قلبية، وإن الإيمان له ذوق خاص ميّزه الله ﷻ عن باقي الأذواق الدنيوية، والسر يكمن في أن للإيمان متعة مستمرة لا تفنى، بينما للأذواق الدنيوية متعة مؤقتة، وعلى سبيل المثال الأكل والشرب واللباس وغيرها من الأذواق الدنيوية، لذائذ وشهوات منقطعة زائلة، بخلاف الإيمان النافع يبقى ويثمر وتمتد حلاوته؛ فحلاوةُ الإيمان حلاوةٌ داخليّة، تسري في القلب سَرَيان الماءِ في العود، وتجري جريان الدم في العروق، فلا يشعر صاحبها بأرَق ولا قلق، ويعيش بلا ضيق ولا نكد، بل رحمة واسعة ورضا ونعمة، ولا يحس بضِيق ولا ضجر، يعيش في سعَة، ويتقلب في رضًا ونعمة؛ ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٥٤﴾[المائدة:٥٤]. ويشعر بسكينةِ النّفس، وهدايةِ القلب.

١ الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم: ٣٠٤٤ | خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

يتحقق ذوق حلاوة الإيمان بثلاثة شروط

أرشدنا النبي ﷺ إلى أن للإيمان ذوقًا ولذةً في القلب، ولا يتحقق الذوق إلا بثلاثة شروط:

١-الرضا بالربوبية.
٢-والرضا بالإسلام.
٣- والرضا بالسنة النبوية.

فمن لم يجمع هذه الأمور لن يتحقق الرضا في قلبه، ولن يذوق حلاوة الإيمان.

١-الرضا بالربوبية:

أول باب من أبواب الوصول إلى حلاوة الإيمان هو أن يرضى الإنسان بالله ربًّا؛ فَمَعْنَى الرِّضا بِاللهِ رَبًّا: أَنْ تَرْضَى بِأَنَّه إِلَهُكَ ومَعْبُودُكَ الذي لا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ سِواه، فَتُفْرِدُه بِالْمَحَبَّةِ والخَوْفِ والرَّجاءِ والدُّعاءِ والتَوَكُّلِ والاسْتِعانَةِ، وسائِرِ العِباداتِ. وتَرْضَى بِحُكْمِهِ وتَدْبِيرِه، وقَضائِهِ وقَدَرِه. وأَلَّا تَعْتَرِضَ عَلى شَيءٍ مِمَّا قَدَّرَه عَلَيْكَ، بَلْ تَرْضَى وتُسَلِّمُ، وتُوقِنُ بِأَنَّه ماضٍ فِيكَ حُكْمُه، وعَدْلٌ فِيكَ قَضاؤُه.

ذوق حلاوة الإيمان يرتبط أساسًا بمعرفة الله ﷻ عبر أسمائه الحسنى؛ فمن لم يذق حلاوة اسم الرزاق أو الخالق أو القوي، لن يعرف الله حق المعرفة؛ لأن المعرفة محلها القلب، فعلم أنه الخالق المدبر، وأنه القائمُ على كلّ نفسٍ بما كسبَت، وأنه رحمنُ الدنيا والآخرة ورحيمُهما، وقيّوم السماوات والأرضين، ومُسْبغُ النِّعم، ودافع النقم، ومجيب المضطر إذا دعاه، وكاشف السّوء عمن رجاه، بيده الموت والحياة، ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾ [طه: ٥٠]. وسلم نفسَه له، وسلك سبيل مرضاتِه، وجرّد نفسه من أهوائِها ورغباتِها، فعبد الله ورجاه، وخافه واتقاه، وتبتل إليه.

٢-والرضا بالإسلام:

والمرتبة الثانية من أبواب حلاوة الإيمان ولذة اليقين هي الرضا بالإسلام دينًا، وَمَعْنَى الرِّضا بِالإِسْلامِ دِينًا: أَنْ تَرْضَى بِأَنَّه الدِّينُ الحَقُّ الذي لا يُقْبَلُ دِينٌ سِواه، في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ، وأَنَّ كُلَّ دِينٍ سِواه فَإِنَّه باطِلٌ، وتَرْضَى بِجَمِيعِ أَحْكامِهِ وأَوامِرِهِ ونَواهِيهِ، وتَنْقادُ لِذلكَ. ولا يَكْتَمِلُ الرِّضا بِهذا الدِّينِ حَتَّى تَكْرَهَ الكُفْرَ وَأَهْلَه، وتَكْرَهَ الوُقُوعَ في الكُفْرِ كَمَا تَكْرَهُ الوُقُوعَ في النارِ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ، وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: أَنْ يَكُونَ

اللهُ ورسولُه أَحبَّ إليهِ مِمَّا سِوَاهُما، وأنْ يُحِب المرءَ لا يُحِبُّه إلا لله، وأن يَكرَهَ أَنْ يعُودَ في الكُفْرِ كَما يَكرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النار ».[1]

فإذا رسَخَ الإيمانُ في القلْبِ، وتحقَّقَ به، ووجَدَ العبْدُ حَلاوتَه وطَعْمَه؛ أحَبَّه، وأحَبَّ ثَباتَه ودَوامَه، والزِّيادةَ منه، وكَرِهَ مُفارقتَه، وكانتْ كَراهتُه لـمُفارقتِه أعظَمَ عندَه مِن كَراهةِ الإلقاءِ في النَّارِ، فإذا وجَدَ العبْدُ حلاوةَ الإيمانِ في قلْبِه أحَسَّ بمَرارةِ الكُفرِ والفُسوقِ والعِصيانِ. قيل: وإنَّما قال النبيُّ ﷺ هذا تَحذيرًا وتَخويفًا للصَّحابةِ؛ لأنَّهم كانوا كُفَّارًا فأسلَموا، وكان في بَعضِ النُّفوسِ حُبٌّ لما كان في الزَّمانِ الماضي، فبيَّنَ لهم ﷺ أنَّ العَودَ إلى الكُفْرِ كإلْقاءِ الرجُلِ نفْسَه في النارِ؛ لأنَّ عاقِبةَ الكُفَّارِ دُخولُ نارِ جهنَّمَ، ونقْضُ التَّوبةِ والرُّجوعُ مِنَ التَّوبةِ إلى المعصيةِ أيضًا كإلْقاءِ الرجُلِ نفْسَه في نارِ جهنَّمَ، وهذا مِن عِظَمِ ذَنبِ الكُفْرِ والعَودةِ إليه.[2]

وكذلك لا يَتِمُّ الرِّضا بِهذا الدِّينِ، حَتَّى تَعْتَقِدَ اعْتِقادًا جازِمًا لا شَكَّ فِيهِ، أَنَّه دِينٌ كامِلٌ، لا يَحْتاجُ إلى زِيادَةٍ وإضافَةٍ، لأَنَّ اللهَ هُو الذي أَنْزَلَه، وأَكْمَلَه، ورَضِيَهُ لَنا دِينًا، فالإسْلامُ هُوَ الدِّينُ الذي يَجِبُ عَلى أَهْلِ الأَرْضِ كُلِّهِم الدُّخُولُ فيهِ، وتَحْكِيمُهُ في شُؤُونِ حَياتِهِم كُلِّها، الخاصَّةِ والعامَّةِ، عَلى مُسْتَوَى الحُكوماتِ والأَفْرادِ. مَن استمسك به، وعض عليه بالنواجذ، وأقام أركانه وواجباته، وعمل بأوامره وانتهى عن منهياته، فقد رضي بالإسلام دينًا.

٣- والرضا بالسنة النبوية:

ثالثًا أن نرضى بالرسول ﷺ نبيًّا ورسولًا، وَمَعْنَى الرِّضا بِمُحَمدٍ ﷺ رسولًا: أَيْ آمَنْتُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَه إلَيَّ وإلى الناسِ كُلِّهِم، وَصَدَّقْتُ وَرَضِيتُ

١ الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم: ٣٠٤٤ | خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، والترمذي (٢٦٢٤) واللفظ له، والنسائي (٤٩٨٧)، وابن ماجه (٤٠٣٣)، وأحمد (١٢٠٢١).

٢ شرح الحديث: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ، وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ ...)، الموسوعة الحديثية الدرر السنية.

بِذلكَ، وَرَضِيتُ بَجَمِيعِ ما أُرْسِلَ بِهِ وَبَلَّغَه مِن العَقيدَةِ والشَّرِيعَةِ، وأَنَّه خاتَمُ النبِيِّينَ، لا نَبِيَّ بَعْدَه، وأَنَّ اللهَ سَدَّ كُلَّ الطُّرُقِ الْمُوصِلَةِ إلى الجَنَّةِ إلا من طَرِيقِهِ، قال رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجنةَ إلا مَنْ أَبَى»، قالوا: يا رسولَ اللهِ، ومَن يَأْبَى؟!! قال: «مَنْ أطاعَنِي دَخَلَ الجنةَ، ومَنْ عَصاني فَقَدْ أَبَى». قالوا: يا رسولَ اللهِ، ومَن يَأْبَى؟!! قال: «مَنْ أطاعَنِي دَخَلَ الجنةَ، ومَنْ عَصاني فَقَدْ أَبَى».[1]

ولقد أَقْسَمَ اللهَ بِذاتِهِ الكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ، أَنَّه لا يُؤْمِنُ أَحَدٌ، حَتَّى يُحَكِّمَ الرسولَ ﷺ في جَمِيعِ الأُمُورِ، فَمَا حَكَمَ بِهِ فَهُوَ الحَقُّ الذي يَجِبُ الانْقِيادُ له، والرِّضا بِهِ، والتَّسْلِيمُ لَه، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. والرضا بالرسول يتضمن الاقتداء به، والاهتداء بهديه، ومحبته، والعمل بقوله وفعله، وتقديم طاعته، وبذل النفس والنفيس في الدفاع عن سنته، وتقديم حكمه على كل شيء يخالفه، والاقتداء به في دعائه ورجائه، في صلاته وصيامه، في دخوله وخروجه، وحفظ الأدعية والأذكار التي رويت عنه، وتحقيق ذلك في واقع الحياة.

---

١ الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع. الصفحة أو الرقم: ٤٥١٣ | خلاصة حكم المحدث: صحيح.

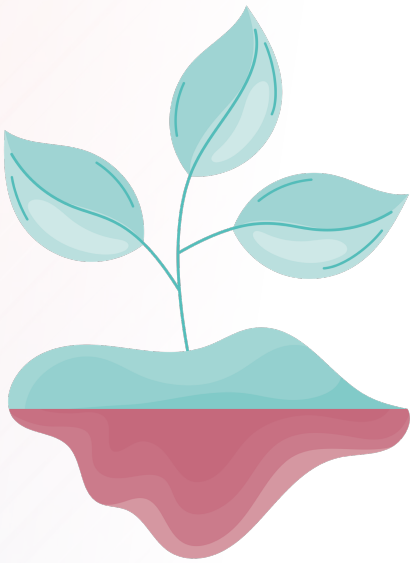

اللهَ ﷻ خَلَقَكمْ لِيَبْلُوَكُم بِهذا الأُمُورِ الثلاثةِ، وهِيَ الرِّضا بِاللهِ رَبًّا، وبِمحمدٍ رسولًا، وبالإسلامِ دِينًا. فلا نَجاةَ لَكُم بَعْدَ رَحْمَةِ اللهِ إلا بِها، فإنَّكم تُسْأَلُونَ عَنْها في قُبُورِكُم، حَيْثُ يُقالُ لِكُلِّ مَقْبُورٍ: مَنْ رَبُّك؟ ومَنْ نَبِيُّكَ؟ وما دِينُك؟ فاجْعَلُوا حَياتَكُم كُلَّها في الاسْتِعْدادِ لِهذا الاخْتِبارِ العَظِيمِ.

ثُمَّ إنَّ مَنْ تأَمَّلَ ذلك، ونَظَرَ إلى مَسائِلِ القَبْرِ الثلاثِ، وَنَظَرَ إلى العِباداتِ التي أُمِرَ بِها، تَبَيَّن لَه أَنَّ كُلَّ عِبادَةٍ يَقُومُ بِها، لا بُدَّ وأنْ تَتَضَمَّنَها هذِه الأُصُولُ الثلاثة؛ لأنَّ مَدارَ العَمَلِ والتَّعَبُّدِ عَلَيها؛ فلَوْ نَظَرْنا- على سبيلِ المِثالِ- إلى الصلاة: فَإنَّها لا بُدَّ وأَنْ تَكُونَ خالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ، سالِمَةً مِن الرياءِ وأَيّة صُورَةٍ مِن صُوَرِ الشِّرْك، وهذا داخِلٌ تَحْتَ الأَصْلِ الأَوَّلِ – مَنْ ربُّك؟ –. أي: مَن مَعْبُودُك؟ ثُمَّ إن هذه الصلاةَ لا بُدَّ أن تكون على السُّنَّةِ، وهذا داخِلٌ تَحْتَ الأصْلِ الثاني – مَن نبيُّك؟ –. وكذلك هذه الصَّلاةُ رُكْنٌ مِن أركان الإسلامِ، ومِن شَعائِرِ الإسلامِ الظاهِرَة، وهذا داخِلٌ تحت الأصْلِ الثالث – ما دِينُك؟ –. وَكُلُّ ذلك مَرَدُّه إلى قَوْلِكَ: رَضيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإسلامِ دِينًا، وَبِمُحمدٍ رسُولًا.

إذا صحَّ الإيمان بهذه الثلاث، ووقر الإيمان بها في القلبِ، فاضَت ثمراتها على حياة صاحبها، إن مشَى على الأرض مشى سويًّا، وإن سار سار تقيًّا، وهو محبوب عند الله وعند الناس؛ قال ﷻ في الحديث القدسي: «فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمَع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطِش بها، ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه».[1]

ومن هذه حاله، طابَ عيشُه، وعرف في الحياة طريقَه، فسار على نور وبصيرة، فنال الرّضا وبلغ المُنى. ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ [الزمر: ٢٢].

إن مَن رضِيَ بالله تعالى ربًّا وجدَ حلاوةً في طاعته، ولذَّةً في البُعد عن معصيتِه، ومن رضِيَ بالإسلام دِينًا وجدَ سعادةً في اتّباع شريعتِه والعمل بأحكامِه، ومن رضِيَ بالنبي ﷺ رسولًا وجدَ انشِراحًا في اتّباع سُنَّته والتِزام هَديِه.

---

١ الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٦٥٠٢ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

السعادة والحلاوة لا تحققها شهوات الدنيا

والحضارة المعاصِرة بمادّيتها المغرِقة، وتِقنيتها الجافّة، خيرُ شاهدٍ على أنّ السعادةَ والحلاوة لا تحقّقها شهواتُ الدّنيا ولا مادّيّاتها، لا ترَى المرءَ فيها إلاّ منهومًا لا يشبَع، ورغباتُه متشعّبة، يجرّه الحِرص على الخِصام فيَشْقَى ويُشقِي، ويغرِس العداوةَ والعدوانَ حيثما حلّ وارتحَل. لقد أورثَتهم حياتُهم هذه أمراضًا نفسيّة، واضطراباتٍ اجتماعيّةً، وتقلّباتٍ فكريّةً، فكان مفزعُهم إلى المخدّرات والمهدِّئات والعيادَات النّفسيّة والعلاجاتِ العصبيّة، وقد نبههم الله وحذرهم فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٤]، وقال: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام:١٢٥].

مَن ضعُف إيمانُه ضجّ مِن البلاء؛ لأنّه لا يعرف أنه مبتلى، مثل شخص يخاف السَّفرَ؛ لأنّه لا زادَ له، فيضِلّ الطريقَ؛ لأنّه لا دليلَ معه، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر:٢٢].

–ومن فقَد الإيمانَ انفرَط أمرُه، وانحلّ عِقده، يقول ويفعَل من غيرِ رقيب، ويسير في دنياه من غير حَسيب، وهو معدومُ الثّقة بنفسه وبالنّاس، يحلُّ التّدابُرُ عندَه محلَّ التّراحُم، والتفرّقُ محلَّ التعاون.

–إذا (حُرم) الناسُ حلاوةَ الإيمان، حبالُهم مع الله ومع النّاس مقطوعة، فينقادون لنفوسِهم الأمّارةِ بالسّوء، وتجتالهم شياطينُ الجنّ والإنس.

وإن في النفوس ركونًا إلى السهل والهينِّ، ونفورًا عن المكلِّف والشاق، والحازم يرفع نفسه إلى معالي الأمور، ويروضها حتى تألف الصعاب، و تطمح إلى الأعالي، حتى إذا ما عرفت العزة نفرت من الذل، وإذا ذاقت لذة الروح استصغرت لذة الجسد؛ لأن الفكر لا يحد، واللسان لا يصمت، والجوارح لا تسكن، فإن لم تُشْغل بالعظائم شُغِلت بالصغائر، وإن لم تستعمل في الخير انصرفت إلى الشر. فسبحان من أشهد بعض عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل فآتاهم من رَوْحها، ونسيمها، وطيبها، فاستفرغوا كل قواهم في طلبها، والمسابقة إليها.

حلاوة الإيمان

من وجد حلاوة العبادة، أحسَّ بانشراحٍ في صدره، وسعادة في قلبه، أثناء قيامه بأداء العبادات، وبعد الانتهاء منها، وأحسَّ بتعلق قلبه بالعبادة، فهو لا يبرح من أدائها حتى يتشوق لفعلها مرة ثانية، وأحسَّ بسهولة وبحلاوة في أدائها، وهذه الحلاوة تتفاوت من إنسان إلى آخر، ومن وقت لآخر، بحسب قوة الإيمان واليقين وضعفه، وهذه الحلاوة تحصل بحصول أسبابها، وتزول بزوالها، وتضعف بضعفها.

قال النووي رحمه الله: «قَالَ الْعُلَمَاءُ رحمهم الله: مَعْنَى حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ اسْتِلْذَاذُ الطاعات، وتحمل المشقات في رضا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَإِيثَارُ ذَلِكَ عَلَى عَرَضِ الدُّنْيَا، وَمَحَبَّةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ سبحانه وتعالى بِفِعْلِ طَاعَتِهِ وَتَرْكِ مُخَالَفَتِهِ وَكَذَلِكَ مَحَبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ».[1]

١ صحيح البخاري –كتاب الإيمان –باب حلاوة الإيمان –حديث رقم ١٦.

قال بعض السلف: إنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.[١]

شتان بين من يُنْعِم بدنا، ويُهْلِك قلبًا، ومن يُتْعِب بدنا، ويُسْعِد قلبًا: (حُفَّتْ الجنةُ بالمكاره، وحُفَّتْ النار بالشهوات).[٢]

إنَّ للإيمان طعمًا وحلاوةً يجدها من ألف العبادة، وداوم عليها، وإنَّه لمن النعيم أن يذوق المؤمن طعم الإيمان، فيعيش في عبادته في لذة، مَنْ حُرِمَهَا فهو المحروم، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «إِذَا لَمْ تَجِدْ لِلْعَمَلِ حَلَاوَةً فِي قَلْبِكَ وَانْشِرَاحًا فَاتَّهِمْهُ، فَإِنَّ الرَّبَّ سبحانه وتعالى شَكُورٌ. يَعْنِي أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُثِيبَ الْعَامِلَ عَلَى عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَلَاوَةٍ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ، وَقُوَّةِ انْشِرَاحٍ، وَقُرَّةِ عَيْنٍ. فَحَيْثُ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فَعَمَلُهُ مَدْخُولٌ». [٣]

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: الإيمان له حلاوة، وطعم يذاق بالقلوب، كما تذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم، والإيمان هو غذاء القلوب وقُوتُها، كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقُوتُها، والجسد يجد حلاوة الطعام والشراب عند صحته، فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه، بل قد يستحلى ما يضره، فكذلك القلب يجد حلاوة الإيمان إذا سلم من مرض الأهواء المضلة و الشهوات المحرمة، وإذا مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلى ما فيه هلاكه من الأهواء والبدع، والمعاصي، والمنكرات. انتهى كلامه رحمه الله.[٤]

---

١ ابن القيم مدارج السالكين: (٣/٢٥٩).
٢ الراوي: أنس بن مالك | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: ٧١٦.
٣ ابن القيم – (مدارج السالكين: ٢/٦٨).
٤ فتح الباري لابن رجب – الجزء ١– باب حلاة الإيمان – (١–٤٥).

تختلف حلاوة الإيمان من شخص إلى آخر

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «وَهَذَا الذَّوْقُ أَصْحَابُهُ فِيهِ يَتَفَاوَتُونَ، فَالَّذِي يَحْصُلُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ عِنْدَ تَجْرِيدِ تَوْحِيدِ قُلُوبِهِمْ إلَى اللهِ وَإِقْبَالِهِمْ عَلَيْهِ دُونَ مَا سِوَاهُ بِحَيْثُ يَكُونُونَ حُنَفَاءَ لَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينُ، لَا يُحِبُّونَ شَيْئًا إلَّا لَهُ، وَلَا يَتَوَكَّلُونَ إلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يُوَالُونَ إلَّا فِيهِ، وَلَا يُعَادُونَ إلَّا لَهُ، وَلَا يَسْأَلُونَ إلَّا إيَّاهُ، وَلَا يَرْجُونَ إلَّا إيَّاهُ، وَلَا يَخَافُونَ إلَّا إيَّاهُ».[1]

وحلاوة الإيمان ولذة العبادة هي راحة النفس، وسعادة القلب، وانشراح الصدر عند القيام بالمطلوبات الشرعية من كل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال، والأفعال الظاهرة والباطنة. وهي حلاوة تختلف من شخص إلى شخص، ومن حال إلى حال، ومن قوة وضعف، وإقبال وإدبار؛ فسبحان من فَاوَتَ بين الخلق في هممهم حتى ترى بين الهمتين أبعد ما بين المشرقين والمغربين.

١ (الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ٥/٢٨٦).

حلاوة الإيمان هي مفتاح الثبات على طاعة الله، ولذة العبادة سر الصمود أمام الفتن. والقلب إذا خالطته بشاشة الإيمان، وامتلأت البصيرة بنور الوحي ظهرت فيه هذه الحلاوة، وبرزت فيه هذه السعادة.

وأما الفرق بين لذة العمل الصالح ولذة الدنيا، فإن لذات الدنيا مصحوبة بالمنغصات والمكدرات، ولذة العمل الصالح خالصة، ولا ملل فيها بل كلما زاد من العمل الصالح زادت اللذة والسعادة. ولذة الدنيا قد تُفَوِّت على العبد لذة الآخرة، ولذة العمل الصالح مدركة في الدنيا والآخرة.

كيف أجد حلاوة الإيمان؟

وسئل الإمام ابن باز رحمه الله: كيف أجد حلاوة الإيمان؟ فأجاب: «بالإقبال على الله، والعناية بالعبادة، وإحضار القلب فيها، والتفكُّر في عظمة الله وإحسانه، وتذكُّر الجنة والنار والموت، كل هذا من أسباب وجود حلاوة الإيمان.. والتلذذ بالمناجاة لربه بالقراءة والدعاء عند استحضار عظمة الله، وعند استحضار ذهاب هذه الدنيا/ وأنَّ العبد صائر إلى ما قدَّم من خير وشر».[1]

١ (فتاوى نور على الدرب لابن باز ٤/ ٢١٠).

وقال رحمه الله: «الإكثار من ذكر الله، ومن قراءة القرآن، والاستقامة على طاعة الله ورسوله، ومحبة الله ورسوله، وأن تحب إخوانك في الله، وأن تكره الكفر وسائر المعاصي، كل هذا من أسباب ذوق طعم الإيمان، ووجود حلاوة الإيمان في قلبك، وأنسك بطاعة الله ورسوله، وتلذذك بذلك، بسبب صدقك في طاعة الله، ومحبة الله سبحانه وتعالى».[1]

ويصل العبد إلى مقام الرضا إذا التزم ما فيه رضى ربه ومولاه؛ قال ابن القيم رحمه الله: «ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرة عيون المشتاقين». [2]

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وإن ارتقى إلى الرضا رأى أن الرضا جنة الدنيا، ومستراح العابدين وباب الله الأعظم».[3]

وقال الفضيل بن عياض: «الرضا عن الله درجة المقربين، ليس بينهم وبين الله سبحانه وتعالى إلاَّ روح وريحان».[4]

١ (فتاوى نور على الدرب لابن باز ٤/ ٢١٤).
٢ ص٣٨٩ – كتاب مجلة جامعة أم القرى – الرضا بالقضاء.
٣ ص٣٨٩ – كتاب مجلة جامعة أم القرى – الرضا بالقضاء.
٤ ص٣٨٩ – كتاب مجلة جامعة أم القرى – الرضا بالقضاء.

ومن آثار حلاوة الإيمان ولذة العبادة:

١-الثبات على دين الله؛ فلا يزال العبد في أداء العبادات،

٢-والإكثارِ من الأعمال الصالحات حتى تصير لذته في هذا الاجتهاد، حتى تراه يشعر بالحسرة في ضياع شيء من وقته، وفتوره في العبادة، والرغبة في المزيد من الطاعة فتصير الصلاة قرة عينه، والصيام متعته، والذكر أنيسه، والقرآن العظيم جليسه؛ إنَّ للإيمان طعمًا وحلاوة يجدها من ألف العبادة وداوم عليها، وإنَّه لمن النعيم أن يذوق المؤمن طعم الإيمان، فيعيش في عبادته في لذةٍ، مَنْ حُرِمَهَا فهو المحروم، قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا لَمْ تَجِدْ لِلْعَمَلِ حَلَاوَةً فِي قَلْبِكَ وَانْشِرَاحًا فَاتَّهِمْهُ، فَإِنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَكُورٌ. يَعْنِي أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُثِيبَ الْعَامِلَ عَلَى عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَلَاوَةٍ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ، وَقُوَّةِ انْشِرَاحٍ وَقُرَّةِ عَيْنٍ. فَحَيْثُ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فَعَمَلُهُ مَدْخُولٌ».[١]

١ (مدارج السالكين: ٢/٦٨).

٣- ومن أعظم آثار هذه الحلاوة: أن يحييه الله الحياة الطيبة؛ فيكون من أطيبِ الناس عيشًا، وأشرحِهم صدرًا، وأقواهُم قلبًا، وأسَرهِم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه؛ قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل:٩٧]. فهل سألتَ نفسك أذُقتُ طعم الإيمان؟ أَوَجَدْتُ حلاوته؟ وكيف أشعر بتلك الحلاوة وأذوق طعم الإيمان؟

قال الحافظ ابن كثير ﵀: «الحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أيّ جهة كانت.. وقال الضحاك ﵀: هي العمل بالطاعة والانشراح بها» .[١]

وقال الإمام السعدي ﵀: «من جمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾، وذلك بطمأنينةِ قلبه، وسكونِ نفسه، وعدمِ التفاته لما يشوِّشُ عليه قلبَه ويرزقه اللهُ رزقًا حلالًا طيِّبًا من حيث لا يحتسب» .[٢]

وقال الإمام ابن القيم ﵀: «هذه الحياةُ الطيبةُ تكونُ في الدور الثلاث، أعني: دارَ الدنيا، ودارَ البرزخ، ودارَ القرار».[٣]

---

١ (تفسير ابن كثير: ٤/ ٦٠١).
٢ (تفسير السعدي: ص٤٤٩).
٣ (مدارج السالكين: ٣/ ٢٤٣).

ومن الوسائل العظيمة الجالبة حلاوة الإيمان الدعاء

فقد ورد من دعاء النبي ﷺ قوله: «اللهم إني أعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، اللهم لا أستطيع ثناءً عليك، ولو حرصت، ولكن أنت كما أثنيت على نفسك».[1]

فهذا هو مع عظيم قدره ورفعة مكانته يسأل ربه رضاه، والسلامة من السخط والعقوبة، مع أنه قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لكنها مرتبة الرضا بالله ربًا التي تتمثل فيه.

«اللهمَّ بعلْمِك الغيبَ، وقدْرتِك على الخلقِ أحْيِني ما علمتَ الحياةَ خيرًا لي، وتوفَّني إذا علِمْتَ الوفاةَ خيرًا لي. اللهمَّ وأسألُك خشيتَك في الغيبِ والشهادةِ، وأسألُك كلمةَ الإخلاصِ في الرضا والغضبِ، وأسألُك القصدَ في الفقرِ والغنى، وأسألُك نعيمًا لا ينفدُ، وأسألُك قرةَ عينٍ لا تنقطعُ، وأسألُك الرضا بالقضاءِ، وأسألُك بَرْدَ العيْشِ بعدَ الموتِ، وأسألُك لذَّةَ النظرِ إلى

١ النسائي – عمل اليوم والليلة.

وجهِك، والشوقَ إلى لقائِك، في غيرِ ضرَّاءَ مُضرةٍ، ولا فتنةٍ مضلَّةٍ. اللهمَّ زيِّنا بزينةِ الإيمانِ، واجعلْنا هداةً مُهتدينَ».[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « أطيب ما في الدنيا معرفة الله ومحبته، وأطيب ما في الآخرة رؤيته».[2]

والمحبة العظيمة تورث شوقًا عظيمًا، وأعظم لذةٍ في الدنيا أن تشتاق لله، كما أن أعظم لذةٍ في الآخرة هي النظر إلى وجهه الكريم، ولهذا جمع بينهما النبي ﷺ في دعائه: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك ».[3]

إنه دعاء خالص لرب كريم بالرضا والإنابة والإيمان، ما أحرانا أن ننهج هذا النهج في حياتنا ودعائنا لربنا! ولقد أدرك سلفنا الصالح رضي الله عنهم هذه المرتبة، الرضا بالله ربًّا، فعاشوا حياتهم في جهاد وعمل ورضا بالله سبحانه وتعالى كل الرضا.

فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يترجم معنى الرضا فيقول: الفقر والغنى مطيتان، ما أبالي أيهما ركبت: إن كان الفقر فإن فيه الصبر، وإن كان الغنى فإن فيه البذل.[4]

إنه حال المؤمن الصادق الذي لا يبالي بالحياة ما دامت تدله على رضا الله، ويبلغ بها السعادة. ولو نظرنا لحالنا اليوم لرأينا الحال عجبًا: فرح عند الغنى، حزن وغم عند الفقر، مع التسخط والتبرم. نسأل الله السلامة والعافية.

---

١ الراوي: عمار بن ياسر | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم: ١٣٠١ | خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه النسائي (١٣٠٥)، وأحمد (١٨٣٥١) باختلاف يسير.

٢ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الفتاوى ١٤/١٦٣).

٣ التخريج: أخرجه النسائي (١٣٠٥)، وأحمد (١٨٣٥١).

٤ ص٦٦ – كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد – ذكر أحكام مقام الرضا – [أبو طالب المكي].

وهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان يكثر من قوله: اللهم رَضِّني بقضائك، وبارك لي في قدرك؛ حتى لا أحب تعجيل شيء أخرته، ولا تأخير شيء عجلته.[1]

وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟! فقال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه يقول: إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أجبت.[2]

غضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على زوجته عاتكة رضي الله عنها فقال لها: والله لأسوأنَّكِ، فقالت له: أتستطيع أن تصرفني عن الإسلام بعد إذ هداني الله إليه؟! فقال: لا، فقالت: أي شيء تسوءني إذًا؟![3]

فهي واثقة مطمئنة أنها ستظل راضية النفس هادئة البال ما دامت مسلمة مستمسكة بدينها، حتى ولو صب عليها البلاء صبًّا، فقد رضيت بالإسلام دينًا.

والحال لو أن واحدًا منا قال له رئيسه، أو أن زوجًا قال لزوجته: لأسوأنَّكِ، فإن أول ما يخطر بباله أنه يطلقها أو أن يتزوج عليها، وأما الموظف فإن ما يخطر في باله أن يحرمه من العلاوة، أو أن ينقص له الراتب. همُّنا في الدنيا، وهمُّهم في الآخرة، وشتان بين الحالين.

---

١ الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة – المجلد ١ – الصفحة ٥٣٥ – جامع الكتب الإسلامية.
٢ ابن قيم الجوزية–مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين–ج٢ ص:–١٢٠باب منزلة الرضى.
٣ ص٦٦ –كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد – ذكر أحكام مقام الرضا –[أبو طالب المكي].

ولو أننا أقبلنا على الله، ورضينا بما قسم لنا، لعشنا في بهجة وفرح وسرور، وكنا في حفظ الله ورعايته. ومن رضي عن الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ [المائدة: ١١٩]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة:٧-٨].

حال من وجد حلاوة الإيمان

إن القلب إذا ذاق هذا الطعم فلن يعجبه شيء بعد ذلك، ومن عرف الله زهد فيما سواه، وإن من يذوق حلاوة الإيمان يفعل المعجزات، إذا دخل الإيمان إلى القلب صرتَ إنسانًا آخر، يسعدُك أن تعطي لا أن تأخذ عكس الناس، يسعدُك أن تقدم جهدك للآخرين لا أن تأخذ جهدهم، يسعدُك أن تكون أقل الناس شأنًا، وأكثرهم حظًّا عند الله ﷻ.

إن الإنسان إذا ذاق حلاوة الإيمان يبتعد عن الآمال، ويتجه إلى الأعمال، كل إنسان يعيش في الأمل، يتمنى ولا يعمل؛ ما ذاق حلاوة الإيمان، وكل إنسان يقوم إلى الصلاة ولم يذق حلاوة الإيمان، فإنه يؤدي العبادات بتثاقل، ولو ذاق حلاوة الإيمان لكان كالمرجل، فحلاوة الإيمان تعطيك قوةً عجيبةً، تعطيك قوةً تنسى بها كل شيء.

إن من ذاق حلاوة الإيمان، ومعرفة الله ﷻ، والقرب منه، والأنس به، لم يكن له أمل في غيره، وإن تعلق أمله بسواه، فهو لإعانته على مرضاته ومحبته، فهو يؤمله لأجله، ولا يؤمله معه.

وهذه الحلاوة أداة يذوقها القلب واللسان والجوارح، ويجد المرء أثر ذلك في نفسه؛ فأنت ترى أن بعض الموفقين يحسن بكلمة طيبة إلى مظلوم أو مسكين فيجد في نفسه شعورًا عجيبًا، وآخر يعطي فقيرًا مالًا، فما أن يتناوله من يده حتى ينصرف بشعور عجيب ينقذف في نفسه، وآخر يتفكر في كلام الله ﷻ فيجد في نفسه شعورًا لا يعدله شعور بمتعة طعام!

من يذُقْ حلاوة الإيمان يشعرْ بلذة نفسية عظيمة تدفعه إلى التلذذ بالطاعات، وتحمل المشاق في الدين، وإيثار الله والآخرة على متاع الدنيا وزخرفها، حتى إنه ليتفانى في سبيل دينه ومرضاة ربه، ويضحي من أجله بكل شيء.

هذا حال من ذاق طعم الإيمان، فمن يذق طعم الإيمان لو قطعته إربًا إربًا لا يتزحزح، وضعوا على صدر سيدنا بلال صخرةً؛ ليكفر، فما زاد عن أن قال: «أحدٌ أحدٌ».[1]

١ المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (١٩٧٢)، جامع الأصول في أحاديث الرسول (الطبعة الأولى)، الكويت: مكتبة دار البيان، صفحة ٢١٥، جزء ١٢. (بتصرّف).

فما أجدرنا أن نعظم ربنا ونوقره، ونخافه ونتقيه، لنذوق حلاوة الإيمان، ويكون حالنا مع الطاعة انشراحًا ولذةً وشوقًا بلقاء الله ﷻ، كما كان حال نبينا ﷺ حين ينادي بلالًا: «قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»[1]

وليكن رضانا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، واقعًا ملموسًا في حياتنا، نرتقي به في دَرَجِ الإيمان حتى نصل إلى مرتبة اليقين، ونفوز بدار النعيم في الآخرة، وبالسعادة التامة في الدنيا.

اللهم ارْضَ عَنَّا، وامْلأ قُلُوبَنا بِالرِّضا بِكَ، وبِدِينِكِ وبِنَبِيِّكَ محمدٍ ﷺ، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليّها ومولاها، اللهم خلصنا من حقوق خلقك، وبارك لنا.

١ (أبو داود).

المراجع:

١ ذاق طعم الإيمان –عبد الله بـــن ناصـــــر الزاحـــم.

٢ ذاق طعـــم الإيمـــان– للشيـــــخ أحمـــــد العتيـــــق.

٣ ذاق طعم الإيمان– عمر بن عبد الله بن مشاري المشاري.

٤ ذوق الطاعة ولذتها– ملتقى الخطباء – الفريـق العلمـي.

٥ شرح حديث ذاق طعم الإيمـان مـن رضـــتي باللـــه ربًّا رضا بن محمـــد السنوسـي.

٦ معالي الشيخ صالح بن حميد في خطبة الجمعة: الإيمان لـه حلاوة، وطعـم يـذاق بالقلـوب كمـا تـــذاق حـــلاوة الطعام والشـــراب بالفـم.